التفسير التحليلي لآية التبليغ من سورة المائدة

م.د. مسلم زامل هادي

كلية الإمام الكاظم "ع" للعلوم الإسلامية الجامعة.

An Analytical Exegesis of the Verse of Proclamation in Surah Al-Ma'idah

Dr. Muslim Zamil Hadi
Professor at Al-Imam Al-Kadhim College

Abstract : This study examines the **Verse of Proclamation (Qur'an 5:67)** through an analytical exegetical approach that integrates Qur'anic sciences, linguistic analysis, rhetorical examination, and the study of circumstances of revelation (asbāb al-nuzūl). Given that Surah Al-Ma'idah is among the last chapters revealed, the verse under discussion occupies a pivotal position in the final stage of the Islamic message and reflects a decisive moment in the history of Islam.

The research demonstrates that the conditional structure in the verse—*"And if you do not, then you have not conveyed His message"*—indicates that the command given to the Prophet (peace be upon him and his family) concerns a matter of exceptional gravity, such that neglecting it would amount to the failure of conveying the entire divine mission. Through linguistic and rhetorical analysis, the study highlights the force of the imperative form *"convey" (balligh)*, the exclusive address *"O Messenger"*, and the divine assurance of protection—*"Allah will protect you from the people"*—all of which underscore the sensitivity and significance of the commanded proclamation.

By surveying narrations transmitted in both Shiʿi and Sunni exegetical sources, the study concludes that the verse was revealed in connection with the event of **Ghadir Khumm**, where the Prophet publicly proclaimed the authority (wilāyah) of Imam ʿAli ibn Abi Talib (peace be upon him). The research further

Article history
Received: 2/ 2/ 2026
Accepted: 16 /2 / 2026
Published : 31 /3/2026

تواريخ البحث

تاريخ الاستلام : **2026/ 2/ 2**

تاريخ القبول: **2026/ 2/16**

تاريخ النشر :**2026/3/ 31**

الكلمات المفتاحية : التفسير ، التحليلي، آية التبليغ ، سورة المائدة

Keywords : Qur'anic Exegesis, Analytical Interpretation, Verse of Proclamation, Surah Al-Ma'idah

© 2023 THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE

http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

Corresponding author:
Dr. Muslim Zamil Hadi
muslim.zamil@iku.edu.iq

DOI:

https://doi.org/10.61710/k37qhj71

establishes a close thematic relationship between the Verse of Proclamation, the Verse of Wilayah (5:55), and the Verse of the Completion of Religion (5:3), revealing a coherent Qur'anic framework affirming the principle of leadership after the Prophet.
Accordingly, the study affirms that the Verse of Proclamation is not related to a subsidiary legal ruling or a confrontation with disbelievers, but rather addresses a foundational issue essential to the preservation and continuity of the Islamic message. It thus represents a decisive Qur'anic declaration marking the completion of the religion and the culmination of the Prophet's mission.

ملخص البحث:

تناول هذا البحث التفسير التحليلي لآية التبليغ من سورة المائدة من خلال دراسة علمية اعتمدت المنهج التحليلي القائم على الجمع بين التفسير الموضوعي واللغوي والبلاغي وعلوم القرآن مع الاستناد إلى الروايات التفسيرية الواردة في مصادر الشيعة وأهل السنة.

استُهلّ البحث بتمهيد حول سورة المائدة من حيث أسماؤها وفضلها ومكان نزولها وعدد آياتها، لما لذلك من أثر في فهم السياق العام للآية, ثم انتقل إلى تحليل آية التبليغ من حيث دلالاتها التفسيرية، مبيّناً أن صيغة الشرط في قوله تعالى: (وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ) تدل على أن ما أُمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بتبليغه يبلغ من الأهمية ما يجعل تركه مساوياً لعدم تبليغ الرسالة بأسرها.

كما تضمّن البحث دراسة لغوية وبلاغية دقيقة لألفاظ الآية وتراكيبها أظهرت أن اختيار الألفاظ وصيغ الأوامر والشرط والوعد بالعصمة يعكس خطورة المرحلة وحساسية الموضوع, وتناول البحث أسباب النزول حيث عُرضت الروايات الواردة في مصادر الإمامية وأهل السنة والتي تضافرت على أن الآية نزلت في واقعة غدير خم بشأن إعلان ولاية الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام).

وخلص البحث إلى أن متعلّق آية التبليغ لا يمكن حمله على تبليغ حكم شرعي جزئي أو مواجهة أهل الكتاب أو المشركين بل يتعلّق بأمرٍ مصيريٍّ مرتبط بقيادة الأمة بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو ما تؤكده القرائن القرآنية والسياق التاريخي وتواتر الروايات.

المقدّمة:

يأتي بحثنا الموسوم بـ (التفسير التحليلي لآية التبليغ من سورة المائدة) في إطار الدراسات القرآنية التي تعنى بالآيات المفصلية ذات البعد العقدي والتاريخي العميق والتي شكّلت منعطفاً حاسماً في مسار الرسالة الإسلامية, وتُعدّ آية التبليغ من أهم هذه الآيات؛ لما اشتملت عليه من أسلوبٍ قرآنيٍّ فريد وأمرٍ إلهيٍّ قاطع ووعيدٍ مشروط مقرونٍ بوعدٍ ربّانيٍّ بالعصمة الأمر الذي يكشف عن خطورة المضمون المأمور بتبليغه وأثره المصيري في اكتمال الرسالة وبقاء الدين.

وتزداد أهمية آية التبليغ كونها وردت في سورة المائدة، وهي من أواخر السور نزولاً مما يمنح آياتها صفة الختام التشريعي والعقدي ويجعلها مرتبطةً بمرحلة اكتمال البناء الإسلامي بعد أن استقرّت أصول العقيدة وتقرّرت الأحكام الأساسية ومن هنا فإنّ دراسة هذه الآية لا يمكن أن تكون دراسة جزئية أو لغوية محضة بل تستدعي منهجاً تحليلياً شاملاً يضمّ التفسير وعلوم القرآن واللغة والبلاغة مع الوقوف عند أسباب النزول والروايات الواردة في مصادر الفريقين.

وانطلاقاً من ذلك فان البحث يهدف إلى الكشف عن دلالات آية التبليغ وتحليل مضمونها تحليلاً علمياً موضوعياً وبيان متعلّقها الحقيقي ومدى ارتباطها بواقعة غدير خم وولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في ضوء النص القرآني والروايات التفسيرية المتواترة.

المبحث الأول: بين يدي سورة المائدة.

المطلب الاول: اسماؤها وفضلها.

أولاً: اسماء سورة المائدة: تعددت الأسماء التي عُرفت بها سورة المائدة في كتب التفسير والحديث، ومن أشهرها:

سورة المائدة: وهو الاسم الغالب عليها، وقد سُمِّيت به لانفرادها بذكر قصة المائدة التي سأل الحواريون عيسى (عليه السلام) أن يُنزلها الله عليهم من السماء، وقد ورد ذلك في خواتيم السورة في قوله تعالى: **(إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ)** (سورة المائدة: 112).

سورة العقود: لأنها السورة الوحيدة التي استُهلّت بالأمر بالوفاء بالعقود، في قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ)** (سورة المائدة: 1).

سورة المنقذة: وقد ورد في حديث مروي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كما ذكره القرطبي أنه قال: (سورة المائدة تُدعى في ملكوت الله المنقذة، تنقذ صاحبها من أيدي ملائكة العذاب) (طنطاوي، 1997م، صفحة 7) .

ثانياً: فضل سورة المائدة: عن أُبيّ بن كعب عن النبيّ (ﷺ) قال : (من قرأ سورة المائدة أُعطي من الأجر بعدد كلّ يهوديّ ونصرانيّ يتنفّس في دار الدنيا عشر حسنات ، ومحا عنه عشر سيّئات ، ورفع له عشر درجات) (الواحدي، 1415هـ، صفحة 147).

وروى العيّاشي باسنده عن عليّ (عليه السلام) قال : (كان القرآن ينسخ بعضه بعضاً وإنّما يؤخذ من أمر رسول اللّه (ﷺ) بأخذه ، وكان من آخر ما نزل عليه سورة المائدة نسخت ما قبلها ولم ينسخها شيء ، ولقد نزلت عليه وهو على بغلة شهباء وثقل عليه الوحي حتّى وقفت بغلته وتدلّى(التَّدَلِّي: تدلى من أعلى إِلى أسفل) (الحميري، 1420هـ، صفحة 2150) بطنها حتّى رأيت سرّتها تكاد تمسّ الأرض ، وأُغمي على رسول اللّه (ﷺ) حتّى وضع يده على ذؤابة (الذُّؤابةُ: ذُؤابةٌ مَضفورةٌ من شَعْر، وكذلك موضعها من الرأس) (الفراهيدي، 1409هـ، صفحة 202) شيبة بن وهب الجمحي ثمّ رفع ذلك عن رسول اللّه (ﷺ) فقرأ علينا سورة المائدة ، فعمل رسول اللّه (ﷺ) وعملنا) (المجلسي، 1403هـ، صفحة 271).

وعن أبي حمزة الثمالي قال : سمعت أبا عبد اللّه (عليه السلام) يقول : (نزلت المائدة كملاً ونزل معها سبعون ألف ألف ملك) (الثمالي، 1420هـ، صفحة 152).

وعن الباقر (عليه السلام) قال : (من قرأ سورة المائدة في كلّ يوم خميس لم يلبس إيمانه بظلم ولا يشرك به أبداً) (العياشي، 320هـ، الصفحات 288–289) (العاملي، 1414هـ، صفحة 250).

عن أمير المؤمنين (عليه السلام) : (إنّما نزلت المائدة قبل أن يقبض بشهرين أو ثلاثة) (الطوسي، 1364هـ، صفحة 361).

المطلب الثاني: عدد آيات سورة المائدة و مكان وسبب نزولها.

سورة المائدة: مدنيّة (النيسابوري ن.، 1416هـ، صفحة 138) (الأندلسي ا.، 1413هـ، صفحة

.(143

بلغ عدد آيها مائةً وعشرين عند الكوفيين، وثلاثةً وعشرين عند البصريين، في حين عدَّها غيرهم اثنتين وعشرين آية (الداني، 1414هـ، صفحة 149) (يقصد بغيرهم اهل المدنيين حيث عدوها اثنين وعشرين آية(ينظر: الداني, 1414هـ, ص 149) (الطوسي, 1431هـ,ج 3, ص 413).

اختلافها ثلاث آيات بالعقود ، چ ڃ ڃ چچ(سورة المائدة: 15) كوفي ، چ ئى ئى چ (سورة المائدة: 23) بصري (الطبرسي، 1408هـ، صفحة 257).

المبحث الثاني: التفسير التحليلي لآية التبليغ:

المطلب الأول: التفسير التحليلي بعلوم القرآن.

أولاً: اسباب النزول.

تتوزّع الروايات الواردة في سبب نزول آية التبليغ على اتجاهين أساسيين؛ أحدهما يذهب إلى أنّ الآية نزلت مستقلة ومخصوصة بواقعة غدير خم، حيث تمّ الإعلان عن ولاية الإمام عليّ (عليه السلام) بوصفها امتداداً لرسالة النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم), أما الاتجاه الآخر فيُظهر نوعاً من الترابط والتداخل بين آية التبليغ وآية الولاية (سورة المائدة: 55) وآية إكمال الدين (سورة المائدة: 3)، ليقدّم رؤية متكاملة تُبرز البنية الموضوعية الجامعة لهذه الآيات في إطار بيان مبدأ الإمامة والولاية, ويكشف هذا الانقسام في الروايات عن تنوّعٍ في تلقّي النصّ القرآني وتفسيره بحيث يتراوح بين القراءة الجزئية التي تركّز على مناسبة نزول محددة والقراءة الكلّية التي تسعى إلى ربط مجموعة من النصوص القرآنية ضمن نسق واحد يخدم غاية عقدية كبيرة

1. روايات القسم الأول من مصادر الإمامية:

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ قَالَ:(أَمَرَ اللهُ – عَزَّ وَجَلَّ – رَسُولَهُ بِوَلَايَةِ عَلَى... وفَرَضَ ولاية أولي الْأَمْرِ، فَلَمْ يَدْرُوا مَا هِيَ؟ فَأَمَرَ اللهُ مُحَمد الله أَنْ يُفْسِرَ لَهُمُ الْوَلَايَةَ كَمَا فَسَّرَ لَهُمُ الصَّلَاةَ والزَّكَاة والصوم والحج، فَلَمَّا أَتَاهُ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ، ضَاقَ بِذلِكَ صَدْرُ رَسُولِ اللهِ ، وتَخَوَّفَ أَنْ يَرْتَدُّوا عَنْ دِينِهِمْ وَأَنْ يُكَذِّبُوهُ، فَضَاقَ صَدْرَهُ، وراجَعَ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَأَوْحَى اللَّهُ – عَزَّ وَجَلَّ – إِلَيْهِ: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسالَتَهُ وَاللهُ

يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ" فَصَدَعَ بِأَمْرِ اللهِ – تَعَالَى ذِكْرُهُ – فَقَامَ بِوَلَايَةِ عَلِي يَوْمَ غَدِيرِ خُم) (الكليني، 1986م، صفحة 289) (العياشي، 320هـ، صفحة 64).

عن أبي عبد الله قال :(لما أمر الله نبيه أن ينصب أمير المؤمنين للناس في قوله : «**يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ**» في علي بغدير خم، فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه) (القمي، 1420هـ، صفحة 171).

عن عبد الله بن عطاء قال:(كنت جالسا مع أبي جعفر في مسجد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) و ابن عبد الله بن سلام جالس في صحن المسجد قال: فقلت: جعلت فداك هذا ابن الذي عنده علم الكتاب؟ قال: «لا، ولكنه صاحبكم علي بن أبي طالب الله نزل فيه: «**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا**» إلى آخر الآية، ونزل فيه «**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ**» (سورة المائدة: 67) إلى آخر الآية فأخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بيد علي بن أبي طالب يوم غدير خم وقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه») (الكوفي، 1410هـ، صفحة 130).

وفي رواية أخرى عن الإمام الباقر قال: (آية (**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ**) تتعلق بولاية الإمام علي (عليه السلام) (الحلي، 1411هـ، صفحة 64).

ونقل الشيخ الطوسي في تفسيره أنّ أبا جعفر وأبا عبد الله (عليهما السلام) قالا: (إن الله تعالى لما أوحى إلى النبي أن يستخلف عليا كان يخاف أن يشق ذلك على جماعة من أصحابه، فأنزل الله تعالى هذه الآية تشجيعًا له على القيام بما أمره بأدائه) (الطوسي ج.، 1431هـ، صفحة 534).

وكتب المرحوم الشيخ الطبرسي أيضاً قال:(عن ابن عباس وجابر بن عبد الله قالا أمر الله محمد أن ينصب عليا للناس فيخبرهم بولايته فتخوّف رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) أن يقولوا حابى ابن عمه وأن يطعنوا في ذلك عليه. فأوحى الله إليه هذه الآية فقام بولايته يوم غدير خم) (الطبرسي ا.، 1406ه، صفحة 344).

وقال الحبري في تفسيره: (نزلت في علي ، أمر رسول الله صلى الله عليه و آله أن يبلغ فيه، فأخذ رسول الله صلّى الله عليه و آله بيد علي ، فقال، «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه») (الحبري، 1408هـ، صفحة 262).

٢. روايات القسم الأول من مصادر أهل السنة:

روي في (تفسير القرآن العظيم) لأبي حاتم الرازي نقلاً عن أبي سعيد الخدري : (نزلت آية (**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ**) في علي بن أبي طالب) (الرازي، صفحة 1173).

ونقل الثعلبي في تفسيره أيضاً عن ابن عباس قوله: (حدثني أبي عن جعفر بن محمد عن آبائه، فقال: لما كان رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) بغدير (خم)، ، نادى بالناس فاجتمعوا، فأخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه)(الثعلبي،١٤٢٢ هـ ، ج ٤ ، ص ٩٢).

ونقل ابن الأثير أيضاً في تفسيره روايات مشابهة عن أبي سعيد الخدري (ابن كثير، ١٤٢٠هـ، ج ٤ ، ص ١٧٣ ، ح ٦٦٩).

وقال الفخر الرازي عن ابن عباس والبراء بن عازب:(نزلت الآية في فضل علي بن أبي طالب الله ولما نزلت هذه الآية أخذ بيده وقال: **(من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه)** (الرازي، ١٤٢٠ هـ ، ج ١٢ ، ص ٥٠).

وذكر الشوكاني في نقلاً عن عبد الله بن مسعود قوله: (نزلت هذه الآية : يا أيها الرسول بلغ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ على رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) يوم غدير الله (خم)، في علي بن أبي طالب رضي الله الله عنه) (الشوكاني، بدون تأريخ، ج ٢، ص ٦٠).

وعن البراء بن عازب الأنصاري قال: لما نزلنا مع رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) في حجة الوداع كنّا بغدير (خم)، فنادى إنّ الصلاة جامعة، وكسح رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) تحت شجرتين وأخذ بيد علي فقال: (ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟) قالوا: بلى يا رسول الله فقال:(هذا مولى من أنا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه) قال: فلقيه عمر فقال:(هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة! (الثعلبي، ١٤٢٢هـ، ج 4، ص ٩٢).

وعن أبي سعيد الخدري قال: (نزلت هذه الآية يا أيها الرسول بلغ مَا أُنزِلَ إليك على رسول الله يوم غدير (خم)، في علي بن أبي طالب) (السيوطي،١٤١٤هـ ، ج ٢ ، ص ٢٩٨).

وقال ابن مسعود: (كنا نقرأ على عهد رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) **يا أيها الرسول بلغ ما أُنزِلَ إِلَيْكَ أَن علياً مولى المؤمنين وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ)** (السيوطي، ١٤١٤هـ، ج٢، ص ٢٩٨).

3. روايات القسم الثاني:

روى العياشي في تفسير وكذا الكليني في كتاب (الكافي) عن الإمام الباقر أن آية التبليغ ترتبط بآية الولاية (سورة المائدة، ٥٥) وفيهما إشارة إلى ولاية الإمام علي الله في يوم غدير (خم) وذكر سبب قول الله تعالى: **(وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ)** وهو أنه كان يخشى تكذيب الناس له في أمر ولاية الإمام علي ، لكن الله وعده بعصمته منهم, وفيما يأتي نص الرواية: (أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ بِوَلَايَةِ عَلِي وأَنْزَلَ عَلَيْهِ (إِنَّمَا وَلِيكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ والَّذِينَ آمَنُوا

الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) وَفَرَضَ وَلَايَةَ أُولِي الْأَمْرِ فَلَمْ يَدْرُوا مَا هِيَ، فَأَمَرَ اللهُ مُحَمَّد أَنْ يُفَسِّرَ لَهُمُ الْوَلَايَةَ كَمَا فَسَّرَ لَهُمُ الصَّلَاةَ والزَّكَاةَ والصَّوْمَ والْحَجَّ فَلَمَّا أَتَاهُ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ ضَاقَ بِذَلِكَ صَدْرُ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) وَتَخَوَّفَ أن يرْتَدُّوا عَنْ دِينِهِمْ وَأَنْ يَكَذِبُوهُ فَضَاقَ صدره وراجع ربه عَزَّ وَجَلَّ فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ :(**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ واللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**) فَصَدَعَ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ فَقَامَ بِوَلَايَةِ عَلِي اليَوْمَ غَدِيرِ خُمّ فَنَادَى الصَّلَاةَ جَامِعَةً وأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَبْلُغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ) (الكليني، ١٩٨٦ م، ج ١، ص ٢٨٩ ، ح 4 ؛ ص ٢٩٠ ، ح ٦) (العياشي، ١٤١١هـ ، ج٢، ص ٦٢).

و وفي رواية بسند صحيح عن أفضل أصحاب الإمام الباقر ومنهم زرارة بن أعين والفضل بن يسار وبكير بن أعين ومحمد بن مسلم وبريد بن معاوية عن الإمام الصادق (عليه السلام) وهذه الرواية منقولة عن أبي الجارود أيضاً قال : (.... ثُمَّ نَزَلَتِ الْوَلَايَةُ، وَإِنَّمَا أَتَاهُ ذَلِكَ فِي يَوْمِ الجمعةِ بِعَرَفَةَ، أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وأتممتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي**) وَكَانَ كَمَالُ الدِّينِ بِوَلَايَةِ عَلَى بْنِ أَبِي طالب (عليه السلام)، فَقَالَ عِنْدَ ذلكَ رَسُولُ اللَّهِ : أُمَّتِي حَدِيثُو عَهْدٍ بِالْجَاهِلِيَّة، ومتى أَخْبَرْتُهُمْ بِهَذَا فِي ابْنِ عَمِي، يَقُولُ قَائِلٌ ، ويَقُولُ قَائِلُ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنطِقَ بِهِ لِسَانِي فَأَتَتْنِي عَزِيمَةٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بَتْلَهُ أَوْعَدَنِي إِنْ لَمْ أُبْلِغْ أَنْ يُعَذِّبَنِي، فَنَزَلَتْ:(**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِغ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**) فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه و آله وسلم) بِيَدِ عَلِي ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ لِمَنْ كَانَ قَبْلِي إِلَّا وَقَدْ عَمَّرَهُ اللَّهُ ، ثُمَّ دَعَاهُ فَأَجَابَهُ، فَأَوْشَكَ أَنْ أُدْعَى فَأُجِيبَ، وَأَنَا مَسْئُولٌ وَأَنْتُمْ مَسْئُولُونَ، فَمَاذَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟ فَقَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ، وَنَصَحْتَ، وَأَدَّيْتَ مَا عَلَيْكَ، فَجَزَاكَ اللهُ أَفْضَلَ جَزَاءِ الْمُرْسَلِينَ), قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: «وَكَانَتِ الْفَرِيضَةُ تَنْزِلُ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ الْأُخْرَى، وَكَانَتِ الْوَلَايَةُ آخِرَ الْفَرَائِضِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي**) (الكليني، ١٩٨٦م، ج ١، ص ٢٩٠).

وفي رواية أخرى مشابهة عن أبي جَعْفَر، قَالَ: (أَمَرَ اللهُ – عَزَّ وَجَلَّ– رَسُولَهُ بِوَلَايَةِ عَلَيَّ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ: (**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**) وَفَرَضَ وَلَايَةَ أُولِي الْأَمْرِ فَلَمْ يَدْرُوا مَا هِيَ ؟ فَأَمَرَ اللهُ مُحَمَّد أَنْ يُفْسِرَ لَهُمُ الْوَلَايَةَ كَمَا فَسَّرَ لَهُمُ الصَّلَاةَ والزَّكَاةَ والصوم والحج، فَلَمَّا أَتَاهُ ذَلِكَ مِنَ اللهِ، ضَاقَ بِذلِكَ صَدْرُ رَسُولِ اللَّهِ ، وتَخَوَّفَ أَنْ يَرْتَدُّوا عَنْ دِينِهِمْ، وَأَنْ يُكَذِّبُوهُ، فَضَاقَ صَدْرُهُ، وَرَاجَعَ رَبَّهُ عَزَّ وجَلَّ، فَأَوْحَى اللَّهُ – عَزَّ وَجَلَّ – إِلَيْهِ : (**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ**

فَمَا بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ واللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) فَصَدَعَ بِأَمْرِ اللَّهِ – تعالى ذكره – فَقَامَ بِوَلَايَةِ عَلَى الله يَوْمَ غَدِيرِ خُمٌ، فَنَادَى: الصَّلَاةَ جَامِعَةً، وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يُبْلِغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ (الكليني، ١٩٨٦م، ج ١ ، ص ٢٢٩).

وفي رواية ثانية عن الجويني في (فرائد السمطين) عن الإمام علي أنه قال: (... فأنشدكم الله أتعلمون حين نزلت **(أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ)** (سورة النساء، ٥٩)... فأمر الله (عز وجل) نبيه أن يعلمهم ولاة أمرهم وأن يفسر لهم من الولاية ما فسر لهم من صلاتهم وزكاتهم وتجهم فينصبني للناس بغدير (خم)) ثم خطب وكان يخشى تكذيب الناس له، فأمره الله بإبلاغ ولاية علي، ثم نزلت آية التبليغ (الحموي الجويني ، ج١، ص ٣١٢).

ونقل السيد ابن طاووس ما يشبه هذه الرواية عن أبي العباس ابن عقدة(السيد بن طاووس, ص ١٣٣ و ١٤٥).

وبالنظر إلى المطالب المذكورة لا يبق أي مجال للشك في أن آية التبليغ ترتبط ارتباطاً مباشراً بحديث غدير (خم): (من كنت مولاه فعلي مولاه).

وقد أسهب العلامة الطباطبائي كثيراً في تفسير آية التبليغ ومما قاله: (على أن هذه الأحاديث الدالة على نزول الآية في مسألة الولاية وهي تزيد على عشرين حديثا من طرق أهل السنة والشيعة, مرتبطة بما ورد في سبب نزول قوله تعالى: **(يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ)** (سورة المائدة: ٦٧) وهي تربو على خمسة عشر حديثاً رواها الفريقان والجميع مرتبط بحديث الغدير: (من كنت مولاه فعلي مولاه) وهو حديث متواتر مروي عن جم غفير من الصحابة، اعترف بتواتره جمع كثير من علماء الفريقين) (الطباطبائي، ١٤١٧هـ، ج6، ص ١٩٦).

من هنا يتضح لنا ارتباط آية التبليغ وآية الإكمال بصورة كاملة، فعندما نزلت آية التبليغ أمر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بإعلان علي بن أبي طالب وتنصيبه ولياً للمؤمنين وبعد ذلك نزلت آية إكمال الدين فتم الدين بتمام الولاية، وإذا قال قائل إن آية الإكمال نزلت في (عرفة) كما جاء في بعض الروايات فإنه لا منافاة بينها وبين آية التبليغ إذ يمكن أن يُقال إنّ أمر الولاية نزل على النبي (صلى الله عليه و آله) قبل أحداث غدير (خم) وأن الرسول الكريم أخر تبليغها لخشيته من أن يقوم المنافقون بالدعاية المضادة فينكر الناس ما جاء به، حتى نزلت آية التبليغ فعمد الرسول الأعظم إلى إعلان عليا مولى لكل مؤمن ومؤمنة وبعدها تلا آية الإكمال, ومن المستبعد أن يكون المراد هو تلاوته آية التبليغ مع آية الإكمال في يوم غدير (خم)، وبناءً على هذا فإنّه لا تناقض بين الروايات إطلاقاً (الطباطبائي، ١٤١٧ هـ ،

ج 1 ، ص ١٩٦ – ١٩٧).

ثانياً: القراءات.

تعددت القراءات القرآنية في لفظ (**رِسَالَاتِهِ**) الوارد في قوله تعالى:(**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ**) (سورة المائدة: 67) فقرأها نافع وابن عامر وأبو بكر عن عاصم بصيغة الجمع: (**رِسَالَاتِهِ**)، وقرأها الباقون بصيغة الإفراد: (**رِسَالَتِهِ**).

وقد علّل أبو علي الفارسي وجه الجمع بقوله: إن الرسل يُبعثون عادة برسالات متعددة ومتنوعة تتضمن التوحيد والشرائع والأوامر والنواهي ونحو ذلك، لذا كان الجمع في مثل هذا السياق مناسباً، كما يُجمع اسم الجنس إذا تعددت أنواعه, ومثّل لذلك بقولهم: "رأيت تموراً كثيرة" أو "اطلعت على علوم كثيرة"، فإن الجمع هنا يدل على تعدد الأنواع واختلافها وهو ما ينطبق على تعدد مضامين الرسالات الإلهية.

أما وجه الإفراد فرُجّح لكون لفظ "الرسالة" في ذاته يدل على العموم والكثرة دون الحاجة إلى جمع اللفظ واستُشهد لذلك بما ورد في قوله تعالى:(**لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا**) (سورة الفرقان: 14) حيث أُطلق المفرد على الجمع للدلالة على الكثرة من حيث المعنى لا اللفظ (الطبرسي ا.، 1408هـ، صفحة 312).

ويُفهم من هذا أن القراءتين صحيحتان في المعنى، فالجمع يدل على تنوع الرسالات وتعددها والإفراد يشير إلى شمولية الرسالة التي تتضمن كل ما أُنزل دون حصرها في صنف أو نوع.

المطلب الثاني: تفسير آية التبليغ:

ذهب جمعٌ من المفسّرين إلى أنّ قوله تعالى: (**وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**) يحتمل وجهين :

الأوّل: أنّ ظاهر الآية يتضمّن نوع تهديد للنبيّ (صلّى الله عليه وآله)، مفاده أنّ عدم تبليغه ما أُمر به يساوق عدم تبليغ الرسالة كلّها، وهو ما ذهب إليه بعض المفسّرين، حيث فُهمت الآية على أنّها بيان لخطورة ترك هذا التبليغ، بحيث يفقد معه العمل الرسالي قيمته التامّة (الطبرسي ا.، 1408هـ، صفحة 588) (الطباطبائي، 1997م، صفحة 50).

الثاني: ما يُستفاد من كلمات عددٍ آخر من المفسّرين، وهو أنّ الآية تحمل إخباراً عن مستقبل الدعوة، من حيث عدم نجاحها وتأثيرها فيما لو لم يتمّ هذا التبليغ الخاص، وأنّ الرسالة باسرها مرهونة بتحقّقه، بحيث يكون عدم الاستخلاف مؤدّياً إلى ذهاب جميع التضحيات والجهود سدى. (الشيرازي م.، 2018م، صفحة 668) ويُعزّز هذا الفهم ما ذُكر من وجود من يتربّص بالإسلام لتفريغه من محتواه وتجريده من جوهره وروحه، حتّى يصبح عرضة للزوال (الطباطبائي، 1997م، الصفحات 46-47) وهو ما يكشف عن الدور الجوهري للإمام بوصفه حافظاً للشريعة وأميناً على الوحي كما دلّت على ذلك روايات كثيرة.

وعلى ضوء ما تقدّم، يتّضح أنّ متعلَّق آية التبليغ ينحصر في أمرٍ يبلغ من الخطورة والأهميّة ما يوازي إعلان الدعوة والنبوّة في مواجهة قريش بل يفوقه شأناً فقد واجه النبيّ (صلّى الله عليه وآله) صناديد قريش في بداية الدعوة من دون أن يخشى أحداً أو يتخوّف من تكذيبهم ولم يتعهّد الله تعالى له آنذاك بالعصمة منهم (الزمخشري، 1987، ج3، صفحة 96) (الطباطبائي، 1997م، صفحة 42) وذلك لأنّ التكذيب صدر عن مشركين في مرحلة التأسيس الأولى وكان أمراً متوقّعاً، كما لم يكن قد وقع بعدُ جهاد ولا سالت دماء، ولا حصلت هجرة لحفظ أتباع الدعوة.

أمّا في آية التبليغ، فإنّ تخوّف النبيّ (صلّى الله عليه وآله) يكشف عن أمرٍ بالغ الخطورة يكون رفضه والتكذيب به صادراً من المسلمين أنفسهم لا من المشركين، الأمر الذي يشكّل تهديداً حقيقياً لمستقبل الرسالة، ولجميع ما بُذل في سبيلها خلال ثلاثٍ وعشرين سنة من الجهاد والمعاناة.

من هنا، أجمع علماء المذهب على أنّ متعلّق آية التبليغ لا يرتبط بأهل الكتاب من اليهود والنصارى، وذلك لإجماع المسلمين على نزول الآية في أواخر حياة النبيّ (صلّى الله عليه وآله) (كثير، 1420هـ، صفحة 81) (القرطبي، ج٦، صفحة ٢٤٤) (البغوي، ج٢، صفحة) وهو ما يدلّ على زوال خطرهم، بعد أن هُزموا أو أُجلي بعضهم أو دخلوا في الإسلام أو في الصلح مع دفع الجزية كما لا يصحّ أن يكون المتعلّق مشركي مكّة لانتهاء الشرك بهزيمتهم في الأحزاب وفتح مكّة وتحطيم الأصنام ولا يمكن كذلك حمل الآية على تبليغ بعض الفرائض كالصلاة والصيام، لأنّ جميع فروع الدين كانت قد بُلّغت قبل نزولها (الشيرازي ا.، 1434هـ، صفحة 84) .

وعليه، فإنّ متعلّق الآية هو الإعلان بولاية أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) وأخذ البيعة له في غدير خم, وقد انعقد إجماع الطائفة على ذلك، وتواترت به الأخبار عند الإماميّة (الأميني، ج١، صفحة ٢١٤).

ومن ثمّ فإنّ هذه المعطيات تفسّر خوف النبيّ (صلّى الله عليه وآله) على مستقبل الدعوة وتُبرز العبرة الكامنة في سبب النزول، إذ إنّ بقاء سببه كفيل بأن يهدي أهل البصيرة إلى فهم المراد الحقيقي من الآية.

المطلب الثالث: التفسير التحليلي اللغوي.

أولاً: دلالة المفردات:

العصمة: (أصلها (عَصَمَ) ، والعَصْمُ : الإمساك، والاعتصام: الاستمساك) (الاصفهاني، 1412هـ، صفحة 349), وفي الاصطلاح يُراد بالعِصمة صيانة الإنسان وحفظه من الوقوع في الإثم والخطأ والزلل، بحيث يكون في مأمنٍ من الانحراف في الفكر أو السلوك أو التبليغ عن الله تعالى, وتُعدّ هذه الخصوصية من أهم المزايا التي تفرّد بها الأنبياء (عليهم السلام) ، لما لهم من دورٍ في حمل الرسالة الإلهية وتبليغها، وكذلك يتصف بها المعصومون الأربعة عشر (عليهم السلام)، إذ لا يتطرق إليهم خطأ في القول ولا في الفعل، بل يكونون قدوةً كاملة وانموذجاً أعلى للإنسانية في طاعة الله وامتثال أوامره .

بلغ: الفعل الماضي من الجذر (بَلَغَ)، ويُشتق منه (البُلوغ) و(البَلاغ)، ويُراد بهما الوصول إلى الغاية والانتهاء إلى أقصى المقصد، سواء أكان ذلك في بُعدٍ مكاني أو زماني، ويأتي بمعنى (أوصَل) أي إيصال أمرٍ أو مسألةٍ إلى الآخرين (الاصفهاني، 1412هـ، صفحة 58) (منظور، 1400هـ، صفحة 486) معناها في الآية هو تبليغ الرسالة وإيصالها إلى الناس على الوجه الأكمل.

الكفر: في اللغة يعني الستر والتغطية، أمّا في الاصطلاح فيُقصد به كل ما يوجب لصاحبه استحقاق العذاب (السيدمرتضى، 1431هـ، صفحة 532) , وقد يكون الكفر عقدياً احيانا ويعني إنكار ضرورات الدين، وفي أحيان أخرى يُقصد به الكفر العملي، وهو كفران النعم الإلهية بشكل عملي، وتُصنّف هذه الكلمة إلى معانٍ أخرى مثل كفر العناد وكفر الجحود وما شابه ذلك (الطباطبائي، 1997م، صفحة 92).

الناس: هو اسم جمع يُطلق على الأفراد والجماعات من البشر، شاملاً الرجل والمرأة،

والشاب والشيخ، والطفل أيضاً، وقد ورد في الآية للدلالة على عموم الناس في زمن الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله وسلم).

ثانياً: المعنى البلاغي:

تتسم آية التبليغ بخصوصية بلاغية واضحة تميزها عن سياق ما قبلها وما بعدها من الآيات، إذ جاء الخطاب فيها موجّهاً إلى النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بصفته الرسالية لا النبوية وذلك من خلال النداء النادر في القرآن: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ)، وهو أسلوب يستبطن إشعاراً بخطورة المضمون وجلالته.

ويُلحظ في الآية توظيف لأسلوب **الأمر الجازم** :(**بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ**)، حيث حملت صيغة الأمر هنا دلالة الإلزام والوجوب المؤكّد, ثم أعقبتها جملة شرطية قوية: (**وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**)، وهي صيغة بلاغية تُظهر خطورة الموقف من خلال الربط بين أداء هذا التبليغ وإكمال الرسالة برمّتها، مما يجعل البلاغ محوراً جوهرياً في تمام الرسالة.

كما يُلحظ البعد النفسي في الخطاب حين انتقل النص من لهجة التكليف الصارمة إلى لهجة التطمين والتثبيت: (**وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**) وهو التفات بلاغي يرسم صورة تكاملية تجمع بين الأمر الإلهي الحاسم وبين الضمانة الربانية التي ترفع عن الرسول أي خشية أو قلق.

ومن الدقائق البلاغية كذلك اختيار فعل الأمر "**بَلِّغْ**" بدلاً من "**أَبْلِغْ**"، إذ إن الأول كما يقرر الراغب الأصفهاني أشد توكيداً وأبلغ في الدلالة على الإيصال التامّ والإنجاز الكامل بخلاف الثاني الذي قد يُحتمل منه مجرد الإخبار, وهو اختيار يعكس دقة التعبير القرآني وتماهي اللفظ مع المقصد العقدي للآية (الشيرازي، 1434هـ، صفحة 83) (الاصفهاني، 1412هـ، صفحة 58) .

خلاصة القول إن البناء البلاغي لآية التبليغ بما تضمّنه من نداء تشريفي وأمر جازم وشرط حاسم ثم تطمين إلهي يظهرها بوصفها آية مفصلية في مسار الرسالة فالتدرّج في الأسلوب من التكليف الصارم إلى الوعد بالحماية، مقروناً بالانتقاء الدقيق للألفاظ يجعل من هذه الآية إعلاناً بلاغياً بليغاً عن مرحلة إكمال الرسالة وخاتمتها، حيث تتجلى فيها عظمة الخطاب القرآني في خدمة المقصد العقدي والتاريخي.

ثالثاً: المعنى المعجمي:

يُعدّ الفعل "**بَلِّغْ**" في الآية الكريمة (**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ**) (سورة المائدة: 67) من الألفاظ القرآنية ذات الدلالات المعجمية الغنية, إذ يشتق من الجذر الثلاثي (ب-ل-غ) الذي يفيد معنى الوصول والانتهاء إلى الغاية (ابن فارس، 1979، ص. 210).

ومن خلال هذا التحديد المعجمي يظهر أن اختيار القرآن للفعل "بَلِّغْ" ينسجم مع مقصد الآية

في إظهار خطورة التكليف ووجوب إيصال الرسالة كاملة دون تقصير, كما أن مادة (بلغ) في الاستعمال القرآني غالباً ما ترتبط بتمام الرسالة ووصول الحجة إلى غايتها (الزركشي، 1995، ج2، ص. 315).

رابعاً: المعنى الصرفي:

يظهر في الفعل "**بَلِّغْ** "صيغة الأمر المزيدة بالتضعيف، من الفعل الثلاثي بَلَغَ وصيغة "فعّل" في علم الصرف تفيد في كثير من الأحيان (**التعدية والتكثير والمبالغة**)ابن جني، 1954، ص. 88), فالأمر هنا ليس بمجرد إيصال عابر بل هو تبليغ متكرر محكم حتى يصل إلى الغاية المقصودة.

كما أن مجيء الفعل بصيغة الأمر (بلِّغ) يكشف عن طابع الإلزام ويعكس البعد الصرفي الذي يعمّق المعنى الدلالي حيث إن زيادة المبنى هنا أفادت زيادة المعنى (ابن يعيش، 1985، ج3، ص. 112). ومن ثم فإن اختيار هذه الصيغة الصرفية بالذات يوحي بأن المقصود ليس مجرد الإعلام وإنما الإيصال التام الذي لا يُقبل فيه تقصير.

خامساً: دلالة التركيب:

من الناحية التركيبية يُلحظ أن الجملة (**وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**) قد صيغت بأسلوب الشرط وهو من الأساليب ذات القوة في البيان العربي فالشرط هنا ليس على سبيل الاحتمال بل على سبيل التوكيد والتنبيه على خطورة البلاغ (الزمخشري، 1987، ج2، ص 133).

كما أن اقتران فعل الشرط "لم تفعل" بجواب شرط يحمل أداة النفي "ما" أفاد قصر الرسالة على هذا البلاغ بعينه، مما يعطي دلالة تركيبية قوية على أن التبليغ هنا يمثل محور الرسالة وركيزتها الأساسية (الطاهر بن عاشور، 1984، ج6، ص. 192).

سادساً: المعنى النحوي:

من الناحية النحوية، فإن افتتاح الآية بالنداء (**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ**) يُظهر أسلوباً نادراً في القرآن الكريم، حيث لم يرد نداء النبي (صلى الله عليه و آله) بوصفه رسولاً إلا في هذا الموضع وموضع آخر ما يعكس خصوصية التركيب النحوي في السياق (الجرجاني، 1982، ص. 57).

كما أن تكرار الضمائر في قوله: (إِلَيْكَ) و(رَبِّكَ) و(رِسَالَتَهُ) يحقق انسجاماً نحوياً يُظهر العلاقة بين المكلّف (النبي) والمُكلِّف (الله) والمهمة (الرسالة) في بناء نحوي متماسك يرسّخ المعنى ويؤكده (ابن هشام، 1991، ص. 211).

المطلب الرابع: دلالات آية التبليغ في سورة المائدة

تُعدّ آية التبليغ (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**) (المائدة: 67) من أهمّ الآيات القرآنية التي تعكس حساسية المرحلة الأخيرة من حياة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم), فهي تمثل نقطة تحول في مسار الرسالة لما تحمله من أوامر قطعية ودلالات عقدية وتاريخية عميقة, وقد تناول المفسرون هذه الآية بالبحث والتأمل مبرزين أبعادها المختلفة سواء على مستوى تمام الرسالة أو على مستوى المخاطر التي كانت تكتنف عملية التبليغ ولاسيما خطر المنافقين, وفيما يلي أهم ما يستفاد من تفسيرها.**

1. عدم إبلاغ ما أُنزل يُعادل عدم إبلاغ الرسالة: **تشير صيغة الشرط (**وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**) إلى أنّ مضمون ما طُلب من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تبليغه بالغ الخطورة، حتى جُعل تركه مساوياً لعدم تبليغ الرسالة كلها, إن هذا يبين أنّ ما أنزل إلى الرسول لم يكن مسألة فرعية أو جزئية بل كان في مرتبة تعادل أصل الرسالة ومقصدها الأساس.**

2. إن موضوع مَا أُنْزِلَ يُعادل موضوع الرسالة كلها: **يؤكد المفسرون أن مضمون ما أُنزل لم يكن متعلقاً بمسائل التوحيد أو الشرك، إذ سبق بيانها مراراً في آيات عديدة, كما لم يكن متعلقاً بالأحكام الشرعية فقد شُرع منها ما كان ضرورياً لاستقامة حياة المسلمين, ولم يكن متصلاً بمواجهة أهل الكتاب، لأن شوكتهم قد كُسرت بعد وقائع بني النضير وبني قريظة وبني قينقاع ويهود خيبر، واستسلم كثير منهم بالجزية أو الهجرة, وبذلك يكون المقصود بموضوع "ما أنزل" أمراً يفوق تلك القضايا في الأهمية، حتى عُدل به عن الرسالة كلها (الشيرازي، 1434هـ، صفحة 4).**

3. عدم قلق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) شخصياً: **القلق الذي كان يخالج نفس النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن بدافع شخصي، وإنما بدافع الحرص على بيضة الإسلام, فقد خشي أن يؤدي تبليغ هذا الأمر الإلهي إلى ظهور مؤامرات من المنافقين تهدد وحدة الأمة وتضعف كيان الدولة الإسلامية, فالخوف كان مرتبطًا بمصير الرسالة لا بمصير النبي الفردي.**

4. خطر المنافقين: **إن نزول آية التبليغ في أواخر حياة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يتوافق مع اشتداد نشاط المنافقين, فقد بينت سورة التوبة التي سبقت سورة المائدة صوراً متعددة من دسائسهم واعتراضاتهم: امتناعهم عن القتال (التوبة: 46–49)، طعنهم في قسمة الصدقات (التوبة: 58)، وإيذاؤهم للنبي واتهامه بأنه "أُذُن" (التوبة: 61)، بل إن بعضهم تآمر ببناء مسجد الضرار ليكون مركزًا للتفرقة والإرصاد (التوبة: 107) وبعد أن أُغلقت جبهات الخطر مع المشركين وأهل الكتاب عبر الجهاد والجزية (التوبة: 1–8، 32–33)، لم يبق إلا خطر المنافقين وهو ما يفسر قوله تعالى: (وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ)، أي من هؤلاء الذين يخفون نفاقهم ويصعب كشفهم وقد أوضح العلامة الطباطبائي أن "الناس" في هذا السياق تشمل المؤمن والمنافق الذي لا يُعرف نفاقه ظاهراً (الطباطبائي، 1997م، صفحة 51).**

من خلال هذه المعطيات يتضح أن آية التبليغ تحمل دلالات عميقة على مستوى تمام الرسالة، إذ إن ما طُلب من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تبليغه يعادل تبليغ الرسالة بأسرها, كما تكشف الآية عن طبيعة الخطر الحقيقي في أواخر حياة الرسول، وهو خطر المنافقين الذين سعوا لتمزيق الصف الإسلامي من الداخل, وإزاء ذلك جاء وعد العصمة الإلهية تأكيداً على أن الرسالة ستصل إلى غايتها، مهما حاول المنافقون عرقلتها, وهكذا تتجلّى عظمة الآية كونها إعلاناً قرآنياً بتمام الرسالة وخاتمتها.

الخاتمة:

يتبين لنا من مجموع المباحث أنّ الآية السابعة والستين من سورة (المائدة) هي المشهورة بآية التبليغ وهي من الناحية المفهومية تدلّ على أن الله سبحانه أمر نبيه بإبلاغ رسالته إلى الناس وأنّ ذلك يُعادل تبليغه الرسالة الإسلامية كلّها وتلك الرسالة ترتبط بولاية الإمام علي (عليه السلام) وغدير (خم) وفق الشواهد والأدلة المتعددة الموجودة في تفاسير الشيعة وأهل السنة.

ومن بين المطالب المذكورة في تفاسير الشيعة وأهل السنة هنالك موارد مشتركة كثيرة تشير إلى أنّ الآية ترتبط بالغدير وولاية الإمام علي (عليه السلام) ، ومن تلك الموارد المشتركة:

1. الاشتراك في معنى مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ حيث كان الرسول ﷺ يخشى تبليغ ذلك ويخاف إنكار الناس له لكن الله سبحانه وعده بعصمته والمحافظة عليه.

2. مورد الاشتراك الآخر في تفاسير الفريقين هو أن عدم تبليغ النبي (صلى الله عليه و آله) لما أُمر به يُعادل عدم تبليغه لرسالة الإسلام برمتها.
3. إنّ الموضوع الذي يتضمنه قوله تعالى: **(مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ)** لَا يتعلّق أبداً بأحكام الإسلام وقوانينه أو مجاهدة اليهود والنصارى والمشركين.
4. كان المنافقون قد توغلوا في أعماق الإسلام في حياة النبي (صلى الله عليه و آله) وكانوا يحيطون به من كل جانب وهؤلاء كانوا يحرصون على الدفاع عن مصالحهم، ولهذا نزلت سورة
5. (التوبة) قبل سورة (المائدة) وبينت الكثير من مواصفات المنافقين ودسائسهم ومؤامراتهم في أمر الرسالة والولاية.
6. تشير كلمة الناس إلى عموم أفراد المجتمع الذين كانوا في حياة النبي من هنا نستنتج أنّ جماعة أو طائفة من هؤلاء الناس كانوا من المنافقين.
7. خوف الرسول (صلى الله عليه و آله) وخشيته كما تبين الآية من جهة المنافقين وليس من أُناس آخرين.
8. وجود العديد من الروايات في المصادر التفسيرية وغير التفسيرية عند الشيعة وأهل السنّة تدلّ على أنّ آية التبليغ مرتبطة بتعريف الإمام علي (عليه السلام) في يوم الغدير كمولى للمؤمنين نقلت روايات أهل السنّة وبإسهاب في تفاسيرهم جملة: (من كنت مولاه فعلي مولاه).
9. ترتبط آية التبليغ بآية الإكمال ارتباطاً وثيقاً وقد أُشير في ذيلها إلى ولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام) كما في آية التبليغ.

قائمة المصادر و المراجع:

أولاً: القرآن الكريم.

1. بحار الأنوار, العلامة المجلسي(ت 1111هـ), تحقيق : السيد إبراهيم الميانجي ، محمد الباقر البهبودي, الطبعة : الثانية المصححة, سنة الطبع : 1403 – 1983 م, الناشر : مؤسسة الوفاء – بيروت – لبنان.
2. البرهان في علوم القرآن , الزركشي، بدر الدين. (1995 .القاهرة: دار الحديث.
3. البيان في عدّ آي القرآن, عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: 444هـ), المحقق: غانم قدوري الحمد, الناشر: مركز المخطوطات والتراث – الكويت, الطبعة: الأولى، 1414هـ – 1994م.

4. التبيان في تفسير القرآن الطوسي، جعفر بن محمد بن الحسن. (١٤٣١هـ – ٢٠١٠م), بيروت: منشورات الأميرة.
5. التحرير والتنوير , الطاهر بن عاشور. (1984), تونس: الدار التونسية للنشر.
6. تفسير أبي حمزة الثمالي, أبو حمزة الثمالي(ت 148هـ), تحقيق : أعاد جمعه وتأليفه : عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين / مراجعة وتقديم : الشيخ محمد هادي معرفة, الطبعة : الأولى, سنة الطبع : 1420 – 1378 ش, المطبعة : مطبعة الهادي, الناشر : دفتر نشر الهادي.
7. تفسير الحبري, الحبري الحسين بن الحكم أبو عبد الله. (١٤٠٨هـ) بيروت: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.
8. تفسير العياشي, محمد بن مسعود العياشي, (ت320)تحقيق : الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي, الناشر : المكتبة العلمية الإسلامية – طهران.
9. تفسير القرآن العظيم , ابن أبي حاتم الرازي, (تحقيق: أسعد محمد طيب, الرياض: منشورات مكتبة نزار المصطفى.
10. تفسير القمي, علي بن إبراهيم القمي (ت نحو 329هـ) (الطبعة الأولى). بيروت: منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
11. التفسير الوسيط للقرآن الكريم, محمد سيد طنطاوي, الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة, الطبعة: الأولى, 1997م.
12. تهذيب الأحكام, الشيخ الطوسي (ت460هـ), تحقيق : تحقيق وتعليق : السيد حسن الموسوي الخرسان, الطبعة : الثالثة, سنة الطبع :(1364)المطبعة : خورشيد, الناشر : دار الكتب الإسلامية – طهران.
13. الدر المنثور في تفسير الماثور , السيوطي، جلال الدين الفضل عبد الرحمن بن بكر بن محمد (١٤١٤هـ) بيروت: منشورات دار الفكر.
14. دلائل الإعجاز, الجرجاني، عبد القاهر. (1982) بيروت: دار المعرفة.
15. سعد السعود , السيد بن طاووس، أبو القاسم السيد علي بن موسى (بدون تأريخ), قم: محمد كاظم الكتبي.
16. شرح المفصل وابن يعيش، موفق الدين. (1985, بيروت: عالم الكتب.
17. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم, نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: 573هـ),المحقق: د حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني – د يوسف محمد عبد الله, الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية), الطبعة: الأولى، 1420 هـ – 1999 م.
18. علم الهدى، السيد مرتضى (١٤٣١هـ). الذخيرة. قم: منشورات مؤسسة النشر الإسلامي.
19. العين, الخليل الفراهيدي(ت 175هـ),تحقيق : الدكتور مهدي المخزومي – الدكتور ابراهيم السامرائي, الطبعة : الثانية, سنة الطبع : 1409, الناشر : مؤسسة دار الهجرة.

20. غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: 850هـ) ، المحقق: الشيخ زكريا عميرات ، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت ، الطبعة: الأولى – 1416 هـ.

21. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير, الشوكاني، محمد بن علي (بدون تأريخ) بدون مطبعة، منشورات عالم الكتب.

22. فرات الكوفي، أبو القاسم فرات بن إبراهيم (١٤١٠هـ). تفسير فرات الكوفي (ط. الأولى). مؤسسة الطبع والنشر في وزارة الإرشاد الإسلامي

23. فرائد السمطين, الحموي الجويني، إبراهيم بن محمد (بدون تأريخ).. بدون مطبعة، منشورات موسسة المحمودي.

24. الكافي, الكليني، محمد بن يعقوب (١٩٨٦م) (الطبعة الرابعة). طهران: منشورات دار الكتب الإسلامية.

25. الكشف والبيان عن تفسير القرآن , الثعلبي النيشابوري، أحمد بن إبراهيم أبو إسحاق. (١٤٢٢هـ) (ط. الأولى). بيروت: منشورات دار إحياء التراث العربي.

26. لسان العرب, ابن منظور(ت711هـ),سنة الطبع : محرم 1405,الناشر : نشر أدب الحوزة, 1400ه.

27. مجمع البيات في تفسير القران , الشيخ ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي, تحقيق, السيد هاشم الرسولي و السيد فضل الله , الناشر: دار المعرفة, بيروت لبنان , الطبعة الثانية, 1407ه 1988م.

28. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز, ابن عطية الأندلسي(ت546هـ), تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد, الطبعة : الأولى, سنة الطبع : 1413 – 1993م, المطبعة : لبنان – دار الكتب العلمية, الناشر : دار الكتب العلمية.

29. مختصر بصائر الدرجات ,الحلي، الحسن بن سليمان. (١٣٧٠هـ / ١٩٥٠م). (ط. الأولى). النجف: منشورات المطبعة الحيدرية.

30. معجم مقاييس اللغة, ابن فارس، أحمد (1979)تحقيق عبد السلام هارون). بيروت: دار الفكر.

31. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب , ابن هشام، جمال الدين. (1991) بيروت: دار الفكر.

32. المفردات في غريب القرآن, الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد. (١٤١٢هـ) بيروت: منشورات دار العلم، الدار الشامية.

33. الميزان في تفسير القران, العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي, الناشر, منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات, الطبعة, الاولى المحققة 1997م.

34. وسائل الشيعة (آل البيت), الحر العاملي,(ت 1104هـ), تحقيق : مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث, الطبعة : الثانية, سنة الطبع : 1414, المطبعة : مهر – قم, الناشر : مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث بقم المشرفة.

35. الوسيط في تفسير القرآن المجيد, أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ), تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي

محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس, قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي, الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان, الطبعة: الأولى، 1415 هـ - 1994 م.

36. تقريب القرآن إلى الأذهان، السيد محمد الحسيني الشيرازي, نشر دار العلوم للتحقيق و الطباعة و النشر و التوزيع , 2018م, الطبعة الأولى .

37. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل, أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ), الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت, الطبعة: الثالثة - 1407 هـ.

38. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي, محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : 510هـ), المحقق : عبد الرزاق المهدي, الناشر : دار إحياء التراث العربي –بيروت, الطبعة : الأولى ، 1420 هـ.

39. الجامع لأحكام القرآن, أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي, (المتوفى: 671هـ), تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش, الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة, الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964 م.

List of Sources and References

First: The Holy Qur’an

1. Bihar al-Anwar (Oceans of Lights), by Allama Muhammad Baqir al-Majlisi (d. 1111 AH), edited by Ibrahim al-Miyanji and Muhammad Baqir al-Bahbudi, 2nd revised edition, 1403 AH / 1983 CE, Al-Wafa Foundation, Beirut, Lebanon.
2. Al-Burhan in the Sciences of the Qur’an, by Badr al-Din al-Zarkashi, Cairo: Dar al-Hadith, 1995.
3. The Clarification on the Enumeration of Qur’anic Verses, by Abu Amr al-Dani (d. 444 AH), edited by Ghanim Qadduri al-Hamad, Center for Manuscripts and Heritage, Kuwait, 1st ed., 1414 AH / 1994 CE.
4. Al-Tibyan: An Exegesis of the Qur’an, by Shaykh Abu Ja‘far al-Tusi, Beirut: Al-Amirah Publications, 1431 AH / 2010 CE.
5. Liberation and Enlightenment (Al-Tahrir wa al-Tanwir), by Muhammad al-Tahir Ibn Ashur, Tunis: Tunisian Publishing House, 1984.
6. The Exegesis of Abu Hamza al-Thumali , by Abu Hamza al-Thumali (d. 148 AH), compiled by Abd al-Razzaq Muhammad Hirz al-Din, reviewed by Muhammad Hadi Ma‘rifa, 1st ed., 1420 AH / 1999 CE.
7. The Exegesis of al-Hibri, by Husayn ibn al-Hakam al-Hibri, Beirut: Aal al-Bayt Foundation for the Revival of Heritage, 1408 AH.
8. The Exegesis of al-Ayyashi, by Muhammad ibn Mas‘ud al-Ayyashi (d. 320 AH), edited by Hashim al-Rasuli al-Mahallati, Islamic Scientific Library, Tehran.
9. The Great Exegesis of the Qur’an, by Ibn Abi Hatim al-Razi, edited by As‘ad Muhammad Tayyib, Riyadh: Nizar Mustafa Library Publications.
10. The Exegesis of al-Qummi, by Ali ibn Ibrahim al-Qummi (d. ca. 329 AH), 1st ed., Beirut: Al-A‘lami Publications.

11. The Intermediate Commentary on the Holy Qur'an, by Muhammad Sayyid Tantawi, Cairo: Dar Nahdat Misr, 1st ed., 1997.
12. Refinement of Legal Rulings, by Shaykh al-Tusi (d. 460 AH), edited by Hasan al-Khurasan, 3rd ed., Tehran: Dar al-Kutub al-Islamiyya.
13. Scattered Pearls: Commentary Based on Transmitted Reports, by Jalal al-Din al-Suyuti, Beirut: Dar al-Fikr, 1414 AH.
14. Proofs of Inimitability, by Abd al-Qahir al-Jurjani, Beirut: Dar al-Ma'rifa, 1982.
15. Happiness of the Fortunate, by Sayyid Ibn Tawus, Qom: Muhammad Kazim al-Kutubi, n.d.
16. Commentary on al-Mufassal, by Muwaffaq al-Din Ibn Ya'ish, Beirut: 'Alam al-Kutub, 1985.
17. The Sun of Sciences and the Remedy of Arabic Speech, by Nashwan al-Himyari (d. 573 AH), Beirut/Damascus: Dar al-Fikr, 1999.
18. The ذخيرة(Treasury), by Sharif al-Murtada (Alam al-Huda), Qom: Islamic Publishing Foundation, 1431 AH.
19. The Book of al-'Ayn, by al-Khalil ibn Ahmad al-Farahidi (d. 175 AH), 2nd ed., Dar al-Hijra, 1409 AH.
20. The Wonders of the Qur'an and the Desires of Discernment, by Nizam al-Din al-Nishapuri (d. 850 AH), Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1st ed., 1416 AH.
21. The Opening of the All-Powerful: Combining Transmission and Reason in Qur'anic Exegesis, by Muhammad al-Shawkani, 'Alam al-Kutub, n.d.
22. The Exegesis of Furat al-Kufi, by Furat ibn Ibrahim al-Kufi, 1st ed., 1410 AH, Ministry of Islamic Guidance Publications.
23. The Unique Necklaces, by Ibrahim al-Juwayni al-Hamawi, n.d., Al-Mahmudi Foundation.
24. Al-Kafi (The Sufficient Book), by Muhammad ibn Ya'qub al-Kulaynī, 4th ed., Tehran: Dar al-Kutub al-Islamiyya, 1986.
25. Unveiling and Clarification of Qur'anic Interpretation, by Ahmad al-Tha'labi al-Nishapuri, Beirut: Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi, 1st ed., 1422 AH.
26. The Tongue of the Arabs, by Ibn Manzur (d. 711 AH), 1405 AH.
27. The Compendium of Clarification in Qur'anic Exegesis, by al-Fadl ibn al-Hasan al-Tabarsi, Beirut: Dar al-Ma'rifa, 2nd ed., 1407 AH / 1988 CE.
28. The Concise Editor in the Interpretation of the Noble Book, by Ibn Atiyya al-Andalusi (d. 546 AH), Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1st ed., 1993.
29. Abridged Insights into Spiritual Ranks, by Hasan ibn Sulayman al-Hilli, Najaf: Al-Haydari Press, 1950.
30. Dictionary of Language Standards, by Ahmad ibn Faris, Beirut: Dar al-Fikr, 1979.
31. The Enrichment of the Intelligent Reader, by Jamal al-Din Ibn Hisham, Beirut: Dar al-Fikr, 1991.
32. Vocabulary of the Qur'an, by al-Raghib al-Isfahani, Beirut: Dar al-'Ilm / Dar al-Shamiyya, 1412 AH.
33. The Balance in Qur'anic Interpretation, by Muhammad Husayn Tabataba'i, Beirut: Al-A'lami Publications, 1997.
34. Means of the Shi'a Tradition, by Muhammad al-Hurr al-'Amili (d. 1104 AH), Qom: Aal al-Bayt Foundation, 1414 AH.
35. The Intermediate Commentary on the Noble Qur'an, by Ali ibn Ahmad al-Wahidi (d. 468 AH), Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1st ed., 1994.

36. Simplifying the Qur’an for Understanding, by Muhammad al-Shirazi, Dar al-‘Ulum, 1st ed., 2018.
37. The Revealer of Hidden Realities, by Mahmud ibn Umar al-Zamakhshari (d. 538 AH), Beirut: Dar al-Kitab al-‘Arabi, 3rd ed., 1407 AH.
38. Landmarks of Revelation (The Exegesis of al-Baghawi), by Husayn ibn Mas‘ud al-Baghawi (d. 510 AH), Beirut: Dar Ihya’ al-Turath al-‘Arabi, 1st ed., 1420 AH.
39. The Comprehensive Rulings of the Qur’an, by Muhammad ibn Ahmad al-Qurtubi (d. 671 AH), Cairo: Dar al-Kutub al-Misriyya, 2nd ed., 1964.